عمر رضي الله عنه والشعر

الأستاذ يوسف العظم

دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن

عمر والشعر رضي الله عنه

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى
١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م

دار النفائس
للنشـــر والتوزيـــع

الاردن ـ عمان ـ العبدلي ـ مقابل جوهرة القدس
هاتف : ٦٩٣٩٤٠ ـ فاكس : ٦٩٣٩٤١ ـ ص .ب : ٢١١٥١١

رقم التصنيف : ٨١١,٠٠٩
المؤلف ومن هو في حكمه : يوسف العظم
عنوان المصنف : عمر والشعر
رؤوس الموضوعات : ١ - الأدب العربي - الشعر - نقد
رقم الايداع : (١٣٤٢/١٢/١٩٩٤)
الملاحظات : مكان النشر : عمان
الناشر : دار النفائس
★ تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

رقم الايداع لدى المكتبة الوطنية : (١٣٤٢/١٢/١٩٩٤)

تقديم
بقلم: عمر سليمان الأشقر

الحمد لله الذي أنار القلوب بأنوار كتابه، وهدى النفوس وأحياها بوحيه، والصلاة والسلام على من جاءَنا بالمحجة البيضاء، والملة القويمة: محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه مصابيح الهدى، وأنوار الدجا، وعلى من سلك سبيلهم، وسار مسارهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فرضي الله عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، فإن سيرته لا تزال تثمر عبر الزمان صفحات مضيئة ، ولا يزال الباحثون يجدون فيها ألوانا من العطاء ، وأنوارا من الهداية ، فهي سيرة رحبة واسعة ، رحابة البحر الخضم المترامي الأطراف وسعته ، كلما قمت بدراسته والبحث فيه وجدت فيه كنوزا وخيرات لا تنفذ.

والشاعر الأديب الأستاذ يوسف العظم يعرض

علينا في هذا البحث الذي أقدم له لونا جديدا من الدراسة في سيرة عمر ، يخوض فيه خوض الباحث المتخصص المتمكن ، فالمجال الذي يبحث فيه مجاله الذي أتقنه وأبدع فيه ، إنه يعرض علينا موقف عمر من الشعر والشعراء ، وقد استل ذلك من بطون الكتب على اختلاف موضوعاتها ، من كتب السنة والسير والتراجم ، ومدونات الشعر، وكتب الأدب ، وصاغها بأسلوبه السهل المشرق النابض بالحياة ،فكان هذا الكتيب صورة جميلة في موضوع حبيب إلى النفوس .

وسيجد كثير من المسلمين من محبي الشعر الذين يتذوقونه ، ويحبون الاستماع إلى روائعه، ويكثرون من التمثل به وترديده ، ولكنهم لا يحسنون نظمه أن لهم في عمر بن الخطاب أسوة وقدوة ، فقد كان من هذا الصنف الذي يحب الشعر ويتمثل به، ويطلب سماعه ، ولكنه لا يحسن نظمه وإنشاءَه .

والشعر فن وجمال ومتعة ، وقد كان الرعيل الأول على صلة بالشعر والأدب ، إلا أنه الشعر الصافي ، الذي يهذب النفوس ، ويصقل العقول، ويدفع إلى مكارم الأخلاق ، لا الشعر المبتذل الذي يدعو إلى القيم الهابطة، والمتع الزائفة ، والعادات العفنة .

وستجد في موقف عمر رضي الله عنه من الشعر والشعراء ، الذي يعرضه علينا المؤلف الكريم في هذا البحث ما يرشد إليه المنهج القويم ، والمسار المستقيم ، فرضي الله عن عمر، فإنه كان فرقانا بين الحق والباطل ، وقد جعل الله الحق على لسانه، وجزى الله المؤلف خير جزائه ، ونفع به عباده ، والحمد لله رب العالمين .

د. عمر سليمان الأشقر
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

عمر شديد في الحق لا يهاب

خير ما يمكن أن نستشهد به لأهمية الشعر للمجتمع وضرورته فيه بعد ما أوردنا من الآيات البينات والأحاديث النبوية الطاهرة في إصدارنا الأول : كتاب « الشعر والشعراء في الكتاب والسنة » ، أن نورد آراء ومواقف لصحابي جليل عرف بجلال القدر وسداد الرأي وصالح العمل .

وإنه ليقف شامخاً ثابتاً صلباً لا يلين ولا يتراجع: إقامة لحد ، ودفعاً لباطل ، ومَحْقاً لبدعة لا تأخذه في الله لومة لائم .

ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر الذي هاجر معلنا يتحدى طواغيت الشرك وهو يقول: شاهت الوجوه !

- لا يرغم الله إلا هذه المعاطس !

- من أراد أن يثكل أمه أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي[1] . إنه المؤمن الذي تربى في مدرسة الحق بين يدي رسول الله ﷺ يرفض كل باطل فلا يجامل، ويدفع كل زيغ فلا يضعف أو يتراجع أو يساوم على دينه ورسالته : « روي أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ حين عرض عليه الإسلام : كيف أصنع بالعزى ؟ فسمعه عمر رضي الله عنه من وراء القبة فقال له : تخرأ عليها » !

وفي جواب عمر سخرية لاذعة بهذه العقلية الجامدة التي لا تزال محصورة في نطاق

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد وسيرة ابن هشام .

الجاهلية الضيق ، لم تسم بعد إلى هذا الفضاء الواسع الذي نقلها إليه الإسلام[1] .

إنه رائد الحق حيثما كان يبحث عنه لينصره وهو يرجو ربه حسن الجزاء ، وما كان ليستهين بأمر أو يصغر شأنا مما يخرج عن حدود الله أو أدب الإسلام.

« سمع عمر صوت بكاء في بيت ، فدخل وبيده الدرة فمال عليهم ضربا حتى بلغ النائحة، فضربها حتى سقط خمارها ثم قال لغلامه: اضرب النائحة ، ويلك اضربها، فإنها نائحة لا حرمة لها، لأنها لا تبكي بشجونكم، إنها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم ، وإنها تؤذي أمواتكم في قبورهم ، وأحياءكم في

---

(١) أخبار عمر للطنطاوين .

دورهم ، وإنها تنهى عن الصبر، وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع، وقد نهى الله عنه »[1] .

وهكذا نرى الفاروق لا يرضى بأن يلين جانبه للمبطلين ، ولا أن يخفض جناحه للشياطين، إنساً كانوا أو جنّاً . إنه يستبشع النياحة، ويعدها جريمة اجتماعية، وخلقا هابطا في مجتمع يدعو إلى الصبر والثبات ...، إنها التزوير بعينه أن تراق دموع كاذبة بدراهم معدودة، ومسخ لكرامة البشر، وإنسانية الإنسان، ولذا لم يتوان عمر عن ضرب المرأة المتردية في حضيض الكذب والتزوير والضلال، ليقوّم اعوجاجاً، ويوقف سوءا عن أن ينمو ويزداد .

---

(١) شرح ابن أبي حديد :٣/١١١ .

وإن أبا حفص ليرفض في المجتمع الإسلامي الذل والمهانة ، حتى من محبي الذل باسم التنسك ، وعشاق الضعف باسم الدين !

نظر رضي الله عنه إلى رجل مظهر للنسك متماوت، فخفقه بالدرة ، وقال : لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله[1] .

إن عمر رضي الله عنه لا يحابي أحدا على حساب صفاء العقيدة ، ولا يرضى لدين الله أن تتسلل إليه البدع، أو أن يفسده الباطل ، ولقد خشي رضوان الله عليه أن يعود الناس إلى ما يشبه الوثنية يوما بعد يوم، وجيلا بعد جيل ، فحسم الموقف وحزم الأمر .

كان الناس يأتون الشجرة التي بايعوا رسول

---

(١) الكامل للمبرد : ١/٢٧٨ .

الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان، فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر ، فأوعدهم فيها ، وأمر بها فقطعت[1] .

وقال : أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى، ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد[2] .

إن رجلا في مثل إيمان عمر ، وخليفة في مثل عدله، وإنسانا في مثل وعيه أمور دينه ، يرفض الهجرة متسترا إذ لم يؤمر بالتستر ، ويهاجم آلهة المشركين بعنف على مرأى منهم ومسمع ، ويضرب النائحة المزورة لعواطف الإنسان ، ويخفق بالدرة المتماوت في الصلاة

---

(١) ابن الجوزي : ١٠٧ .
(٢) شرح ابن أبي حديد : ١:٥٩ .

وأداء الفريضة ، ويقطع الشجرة حتى لا يتسلل الناس من خلال الصلاة تحتها إلى الوثنية من جديد كما نرى اليوم من لثم للتراب ، وتمسح بقبور الأولياء وأضرحتهم ، رجل مثل هذا لا يمكن أن يسكت على بيت شعر ينشد أو قصيدة تروى أو قافية تقال لو لم يكن الشعر في رأي عمر أسلوبا من أساليب التربية ووسيلة من وسائل البناء .

لماذا ترك المسلمون الشعر زمنا ؟

يعلل أمير المؤمنين -رضي الله عنه- سر ترك الناس للشعر زمنا، أو تخليهم عنه قليلا ، أو زحزحته بعض الشيء عن مقعد المجد ومنصة السلطان وقمة التقدير، فيقول رضي الله عنه :

« كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر . فلم يئلوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، فألقوا ذلك ، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم أكثره »[1] .

ونلاحظ مما مرَّ بنا الآن أن العرب في الإسلام فضلوا علوم القرآن - لأنها مرتبطة بالحق نابعة من العقيدة - على علوم الشعر القائمة على العاطفة والانفعال والتعصب

(١) طبقات الشعراء: ١٧ والعمدة لابن رشيق القيرواني: ١/ ١٤.

للقبيلة، أو الاستجابة لمن يمنح المال والجاه ، المغدق العطاء على الشاعر .

كما نرى انشغال العرب الذين آمنوا وأسلموا بما هو أكرم وأفضل : نشر الدعوة ، وإعلاء كلمة الله في سبيله، لإقامة مجتمع إسلامي هادف، وحياة إنسانية فاضلة . ثم نلاحظ أن العرب قد عادوا إلى الشعر بعد الاستقرار ، ورجعوا إلى روايته كما يقول أمير المؤمنين عمر غير مستنكر ولا مستقبح ، وعمر من نعرف عفة وتقوى وهدى ، بل صاحب الرأي النافذ، والقول السديد الذي كثيرا ما نزل القرآن وفقاً له مؤيداً لما يرى .

عمر ينهى حسانا وحسان يحجه

وإذا كنا نقرأ عن موقف عمر من حسان وهو ينشد الشعر في المسجد ، فما ذلك إلا لهيبة المسجد وروح الوقار الغامر التي تلفه ، ولما نعرفه من روح المرح والإعجاب والتعليق والانفعال التي ترافق إلقاء الشعر ، وتسير في مواكبه الصاخبة ، ومع ذلك أسكت حسان عمر -رضي الله عنهما- بالحجة الدامغة والرأي الشرعي الصائب حين ذكَّره بأنه كان يلقي الشعر في المسجد بين يدي من هو خير من عمر ، ويعني بذلك الرسول ﷺ .

« يروى أنَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال : أرغاء كرغاءِ البكر؟

فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم ، لقد أنشدت في هذا المسجد بين يدي من هو خير منك ، فما يغيّر عليَّ ذلك؟ فقال عمر : صدقت »[1] .

ولا يستبعد أن يكون إنكار عمر بسبب الأسلوب الذي كان يلقي به الشعر أو الاستقبال الذي كان يستقبل به في المسجد . ذلك أنه استنكر طبيعة الصوت أو سوء الإلقاء، لا الشعر والمعاني حيث شبه ذلك برغاء الإبل. ومثل ذلك إنكارنا قراءة من لايحسن القراءة أو ترتيل من لا يجيد الترتيل .

ولعمري فإن لعمر موقفا آخر لم يكن صادراً إلا عن الهيبة والإجلال والمحبة والتقدير حين

---

(١) العمدة : ١ / ٢٨ .

هدد وتوعد بالقتل كل من يقول بأن رسول الله ﷺ قد مات ، ولولا حكمة أبي بكر - رضي الله عنه- وحزمه لوقع ما لا يحب المسلمون ولا يرضون .

عمر يرفض الشعر المنحرف

ما كان لرجل مؤمن مثل عمر أن يقر الشعر على إطلاقه ، وإنه ليرفض الشعر المنحرف عن الحق ، المتجه إلى عوج ، الحاث على باطل أو معصية أو صغار .

ولّى رضي الله عنه رجلا من قريش عملا فبلغه أنه قال :

اسقني شربة ألذ عليها
واسق بالله مثلها ابن هشام

فعزله. فلما قدم عليه قال له : إنك القائل، وأنشده البيت ، قال : نعم ، والقائل بعده:

عسلاً بارداً بماء سحاب
إنني لا أحب شرب المدام

فقال له عمر : قاتلك الله كذا قلت ؟ ورده إلى عـمله[1] ، وقـال المنخل اليشكري من أبيات كانت سبب عزل عمر له عن العمل :

ولقد شربت من المدا
مة بالصغير وبالكبير

فإذا سكرت فإنني
رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فإنني
رب الشويهة والبعير[2]

---

(١) غرر الخصائص : ٩٤ . وابن الجوزي : ١٠١. وأخبار عمر للطنطاويين : ٢٠٠ .
(٢) بلوغ الأرب : ١/٢١٥ .

وإن عمر -رضي الله عنه- ليحدد نوع الشعر الذي نهى عنه الإسلام ، وحذر منه المسلمين:

« إني قد نهيتكم أن تذكروا ما كان بين المسلمين والمشركين شيئا، دفعا للتضاغن عنكم، وبث القبيح فيما بينكم ، فأما إذا أبوا، فاكتبوا، واحتفظوا به، فدونوا ذلك عندهم»[1] .

وبمثل هذه الصراحة ،وهذا الوضوح، وهذا التحديد . . . ينهاهم عما يدفع إلى ضغينة وحقد أو يبث قبيحاً فاحشاً ، لأن دين الله قد وحد بينهم، وجمع صفوفهم، فلمَ يمزقها الشعر، وتفرقها العاطفة المتأججة التي كانت يوم كانت العداوة ، وكانت البغضاء ؟

أما أن يكون ذلك جزءاً من التاريخ ،

---

(١) الأغاني : ٤/٥ .

وصورة محفوظة تصور فترة زمنية معينة ، فلا بأس ، ولا ضير .

عمر يرسم أهداف الحياة

لقد رسم عمر رضي الله عنه أهداف الحياة كما تعلمها في أفياء القرآن ، وبين يدي النبي الأمين ، ولذا نراه يستنكر أهداف طرفة بن العبد ، وهو يحددها في معلقته المشهورة، ويركز فيها على المرأة والكأس، ويعتبرها أسمى وأجمل ما يناله الإنسان في الحياة .

أنشد رجل عمر بن الخطاب قول طرفة :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عوّدي

فقال عمر : لولا أن أسير في سبيل الله ،

وأضع جبهتي لله ، وأجالس أقواماً ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب الثمر ، لم أبال أن أكون قد مِتّ[1] .

وإذا التقى إيمان عمر برأي طرفة في حقيقة الموت ، فإن عمر يسمو بالحياة إلى السامق من الفكر والعمل : السير في سبيل الله لإعلاء كلمته، ورفع رايته ونصرة دينه لسعادة البشرية، ووضع جبهته على الأرض تواضعاً ورفقاً ورحمةً ، ومجالسة قوم لا يخوضون في عرض،ولا يدْعون إلا إلى مكرمة وعالي همة، في حين يهبط طرفة بالحياة إلى أهداف ساذجة مبتذلة دنية يستطيع مثلها كثير من المجان والعابثين .

---

(١) البيان والتبيين: ٢/ ١٥٧ .وعيون الأخبار: ١/ ٣٠٨.

عمر يحث الناس على حفظ الشعر وروايته

يعتبر عمر -رضوان الله عليه- الشعر أساسا من أسس الأدب ووسيلة من وسائل التربية، ولذا نراه يوصي أهل الشام وهو يكتب إليهم:

« علموا أولادكم الكتابة والسباحة والرمي والفروسية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً وروّوهم ما سار من المثل وحسُن من الشعر»[1] .

وإذن فالمنهج التربوي متكامل يتناول أولى خطوات المعرفة لدى الناس بعامة، وذلك بتعلم الكتابة،ثم يعرج على التربية التي تعني بالجسم من سباحة ورمي وفروسية ، ثم يأتي دور

---

(١) الكامل : ١/١٥٥ . عيون الأخبار : ٢/١٦٨. والبيان والتبيين : ٣/١٤٦ .

المثل والحكمة وما حسُن من الشعر يتزود منه الجيل الناشئ بالعبرة والعظة وحسن التوجيه. لتكون التربية الاسلامية شمولية متكاملة .

وان عمر ليخص ولده كذلك بما أراده لبقية الناس ، وهو يحب له ما يحب لأبناء الأمة حيث نراه يكتب لأبنه عبدالرحمن :

«يا بني انسب نفسك تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك،فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يقترف أدبا»[1] .

ويرى عمر -رضي الله عنه- ألا يكون الشعر وسيلة من وسائل التربية للجيل الناشئ فحسب، بل إنه ليعمم ذلك على الناس كافة

---

(١) جمهرة أشعار العرب : ١٨ .

حيث يوصي الرعية على مختلف المستويات وتباين الأعمار بحفظ الشعر وروايته، ويحدد نوع الشعر بأنه العفّ الحسن .

« اروا من الشعر أعفّه ، ومن الحديث أحسنه ، ومن النسب ما تواصلون عليه، وتعرفون به ، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق، وتنهى عن مساويها »[1] .

وبذلك يعلل عمر دعوته الناس إلى رواية الشعر العف حيث يشير إلى أن محاسن الشعر توجه الناس إلى مكارم الأخلاق، وتدلهم على الفضائل، وتنهاهم عن الفحش والسوء والصغار.

---

(١) جمهرة أشعار العرب : ١٨ .

كـــتب رضي الله عنه إلى أبي مـــوسى الأشعري: « مُرْ من قبلك بتعلم الشعر ، فإنه يدل على معـالي الاخلاق وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب »[1] .

وإنا لنلاحظ في النص السابق ما يحمل مفهوم الأمر يوجهه أمير المؤمنين إلى عامله، كي يحمل الناس على تعلم الشعر، لما بينه وبين صواب الرأي ومعالي الأخلاق من صلة ووثاق.

---

(١) العمدة : ١/١٥ .

عمر يتمثل بالشعر

ولم يقف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- موقف من يأمر الناس بأمر هو عنه بعيد، بل كان يستشهد بالشعر، ويتمثل به كلما دعت الحاجة، أو حدث أمر يحفظ شعراً قيل في مثل مناسبته .

قال محمد بن سلام الجمحي عن بعض أشياخه: كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه الشعر[1] .

ذكر لعمر بن الخطاب قول الأوسية « حكيمة من الأوس » وقد سئلت : أي منظر أحسن؟ فقالت: قصور بيض في حدائق خضر، فأنشد عند ذلك عمر بيت عدي بن زيد العبادي :

---

(١) البيان والتبيين : ١/١٤٤ .

كدمى العاج في المحاريب أوكال
ـبيض في الروض زهره مستنير[1]

وعن عبدالرحمن بن عوف قال : أتيت باب عمر، فسمعته ينشد بالركبانية[2] :

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما
قضى وطراً منها جميل بن معمر

فلما استأذنت عليه قال لي : أسمعت ما قلت ؟ قلت : نعم . فقال : إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم[3] .

انظر هذا التصوير الحي الواقعي والتواضع الكريم والخلق الرفيع الذي يرجع فيه عمر نفسه إنسانا من الناس ، هو يفعل ذلك في

---

(١) البيان والتبيين : ١/٥٣ .
(٢) الركبانية أسلوب الغناء على طريقة الحداء والركبان.
(٣) الكامل : ١/٢٦٧ .

السوق وعرض الطريق، حيث لا يعلو عمر، ولا يشمخ في تيه السلطان وكبر الحكم، فكيف في البيت حيث يتحلل من بقية قيوده :

إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم... إنه بشر ، له عواطف الخلق وأحاسيس الناس .

وسار عمر ومعه الزبير بن العوام ، فلما مر عمر بوادي محسر ضرب فيه راحلته حتى قطعه وهو يرتجز :

إليك تعدو قلقا وضينها
مخالفا دين النصارى دينها

مقترضا في بطنها جنينها
قد ذهب الشحم الذي يزينها[1]

---

(١) المراح في المزاح : ٣٥ .

وكان رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت :

كأنك لم توتر من الدهر مرة
إذا أنت أدركت الذي أنا طالبه[1]

وعن سفيان الثوري قال : بلغني أن عمر كان يتمثل :

لا يغرنك عِشاء ساكن
قد يوافي بالمنيات السحر[2]

وقال عمر : والله ما وجدت لأبي بكر مثلاً إلا ما قاله أو تمثله السلمي :

من يسع كي يدرك أفعاله
يجتهد السد بأرض الفضاء

والله لا يدرك أفعاله
ذو مئزرٍ ضافٍ ولا ذو رداء[3]

---

(١) روضة المحبين .
(٢) ابن الجوزي : ١٦٢ .
(٣) ابن الجوزي : ١٦٣ .

وكان رضي الله عنه يتمثل :

لا تأخذوا عقلا من القوم إنني
أرى الجرح يبقى والمعاقل تذهب

عمر يقول الشعر

قال الأصمعي : بينما عمر في بعض أسفاره على ناقة صعبة أتعبته ، إذ جاءه رجل بناقة قد روضت وذللت ، فركبها فمشت به مشيا حسناً ، فأنشد هذا البيت :

كأن راكبها غصن بمروحة
إذا استمرت به أوشاربٌ ثمل

ثم قال : أستغفر الله . قال الأصمعي : فلا أدري أتمثل به أم قاله[1] .

---

(١) الاشتقاق لابن دريد: ١/ ٣٣. والأغاني: ٨/ ١٤٤ .

واذا كان عمر يحث كما أسلفنا على حفظ الشعر وروايته، ويأمر عماله بحمل الناس عليه، أدركنا أن الأمر لم يعد يرتبط إلا بما لعمر من موهبة أو شاعرية، فإذا توفر له ذلك فإنه قائل شعراً لا محالة، ولعل البيت له ، أم لعله لغيره، وقد تمثل به كما قال الأصمعي وتساءل !

وعن أبي خالد الغساني قال : حدثني مشيخة من أهل الشام أدركوا عمر قالوا : لما استخلف عمر صعد المنبر ، فلما رأى الناس أسفل منه حمد الله، ثم كان أول كلام تكلم به بعد الثناء على الله ورسوله :

وهوّن عليك فان الأمور
بكف الإله مقاديرها

فليس يواتيك منهيها
ولا قاصر عنك مأمورها[1]

وقد ورد في العمدة أنها للأعور الشني . ومن شعره رضي الله عنه كما ذكر صاحب «زاد مسلم» انه قال لما أخبره كعب الأحبار بأنه لم يبق من عمره إلا ثلاث ليال :

توعدني كعب ثلاثاً يعدها
ولا شك أن القول ما قاله كعب

وما بي خوف الموت إني لميت
ولكنْ خوفَ الذنب يتبعه الذنب

ومع شكنا في صحة نسبة هذين البيتين لعمر رضي الله عنه، لأن الأجل لا يعلمه إلا الله ، فلا كعب يحدده، ولا عمر يقره على ذلك التحديد،إلا أن يكون لعمر علم أو بعض علم

(١) منتخب كنز العمال : ٦/٣٠٥ .

بمؤامرة تحاك، أو أمر يدبر ضده بليل، وإن تمثل عمر ببعض الأبيات ، أو ترديده لبعض الشعر ، سواء أكان قائلا أم متمثلا ، إنما يدل على تذوق للشعر وإعجاب به ، وارتياح لإنشاده ، وهذا هو الذي يعنينا في البحث أكثر من معرفة الموهبة الشعرية لدى عمر رضوان الله عليه .

عمر يتمنى أن يرثي أخاه شعراً

حكى أحمد بن عمران العبدي عن أبيه عن جده قال :

« صليت مع عمر بن الخطاب الصبح ، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل قصير أعور متنكبا قوسه وبيده هراوة ، فسأل : من هذا؟

فقيل : متمم بن نويرة . فاستنشده رثاءه لأخيه ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا
لطول افتراق لم نبت ليلة معا

فقال عمر : هذا والله التأبين . يرحم الله زيد بن الخطاب ، إني لأحسب أني لو كنت أقدر على أن أقول الشعر لبكيته كما بكيت أخاك .

ثم سأله : ما أشد ما لقيت على أخيك من الحزن ؟ فقال : كانت عيني هذه قد ذهبت ، فبكيت بالصحيحة ، فأكثرت البكاء ، حتى أسعفتها العين الذاهبة ، وجرت بالدمع .

فقال عمر : إن هذا الحزن شديد ، ما يحزن هكذا أحد على هالك .

قال متمم : لو قتل أخي يوم اليمامة كما قتل أخوك ما بكيت أبداً . فصبر عمر ، وتعزى عن أخيه ، وقال : ما عزاني أحد عنه بأحسن مما عزيتني »[1] .

يكاد مثل هذا النص يجزم بأن عمر لم يكن شاعراً ، وإذا روى البعض عنه أبياتا وكانت نسبتها إليه صحيحة ، فإن ذلك لا يسلكه في عداد الشعراء .

غير أننا نلمس روح الغبطة والتمني تتجلى في حوار عمر مع متمم بن نويرة حيث كان يرجو لو أنه كان شاعراً ، ليرثي أخاه زيداً

---

(١) عبقرية عمر للعقاد : ٥١ .

رثاءً نابعاً من العلاقة الوثقى القائمة على أخوة الإيمان وأخوة الرحم .

إنه عمر الذي يحارب الكفر ، ويرد الضلال، ويطارد البدعة حيثما كانت ، يتمنى لو أنه كان شاعراً من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا مع الأبرار والصالحين .

أحكام يصدرها عمر بسبب شعر يقال

سئل مالك بن أنس ، من أين شاطر عمر ابن الخطاب عماله ؟ فقال : أموال كثيرة ظهرت عليهم ، وإن شاعرا كتب إليه يقول :

نحج إذا حجوا ونغزو إذا غزوا
فأنى لهم وفر ولسنا بذي وفر

إذا التاجر الهندي جاء بفارة
من المسك راحت في مفارقهم تجري

فدونك مال الله حيث وجدته
سيرضون إن شاطرتهم منك بالشطر

قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

وأخرج عبدالرزاق عن ابن جريج قال : أخبرني من أصدق أن عمر -رضي الله عنه- بينما هو يطوف سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل وأسود جانبه
وأرقني أن لا حبيب ألاعبُه

فلولا حذار الله لا شيء مثله
لزعزع من هذا السرير جوانبُه

فقال عمر رضي الله عنه : مالك ؟ قالت: أغربت زوجي منذ أشهر . وقد اشتقت إليه . قال : أردت سوءا . قالت : معاذ الله !

قال: فاملكي عليك نفسك ، فإنما هو البريد إليه ، فبعث إليه ، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها . فقال : إني سائلك عن أمر قد أهمني فافرجيه عني ، في كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟ فخفضت رأسها واستحيت . قال : فإن الله لا يستحي من الحق فأشارت بيدها ثلاثة أشهر ، وإلا فأربعة أشهر .

فكتب عمر -رضي الله عنه- أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر . (كذا في الكنز ج٨ص٣٠٨) .

وأخرجه البيهقي (ج٩ص٢٩) من طريق مالك عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : خرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من الليل ، فسمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه
وأرقني أن لا حبيب ألاعبه

فقال عمر بن الخطاب لحفصة بنت عمر رضي الله عنهما ، كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت : ستة أو أربعة أشهر . فقال عمر : لا أحبس الجيش أكثر من هذا .

لقد كان عمر إنسانا مرهف الحس ، صادق العاطفة ، عف الوجدان ، يحكم بالشرع، ويستجيب للنصح يسديه لسان شاعر أو متمثل بشعر شاعر .

إنه يشاطر عماله أموالهم حين تثبت من أن مظاهر الترف تبدو عليهم ، وكان دليله إلى ذلك وموجهه لخطورة الأمر شاعر ناصح رأى تأرجح ميزان العدل في أيدي العمال ، فأعاده

إلى طبيعته مستقيماً مستقراً لا خلل فيه .

أما أن تترنم تلك المرأة بالشعر تعبر به عن شوقها وعواطفها بصدق وانفعال ، فقد أدّى إلى أن يضع عمر قواعد عسكرية وأوامر لجيش الفتح الإسلامي يحدد فيها مدة إقامة الجندي المجاهد بعيداً عن أهله وعياله .

لقد كان عمر انسانا حين أصغى لشكوى المرأة ، إنسانا حين استشار في ذلك حفصة ، فإن المرأة أدرى بحياة مثلها عاطفة وجنسا ونفسية .

وهكذا كان للشعر مواقف جيدة مشكورة في حياة هذه الأمة أدت في بعض الأحيان إلى وضع الأحكام العادلة في مختلف الميادين والمجالات .

الشعر يحرك وجدان عمر

جاءه قوم فذكروا أن إمامهم يصلي بهم العصر ، ثم يتغنى بأبيات من الشعر . فقام معهم إليه ، واستخرجه من منزله ، وسأله فيما بلغه عنه ، واستنشده الأبيات التي يغنيها، فأنشد:

وفؤادي كلما نبهته
عاد في اللذات يبغي تعبي

لا أراه الدهر إلا لاهياً
في تماديه فقد برّح بي

يا قرين السوء ما هذا الصبا
فني العمر كذا باللعب

وشباب بان مني فمضى
قبل أن أقضيَ منه أربي

نفس لا كنت ولا كان الهوى
اتقي المولى وخافي وارهبي

فاعاد عمر البيت الأخير،وقال لمن شكوا إليه:

من كان منكم مغنيا فليغن هكذا[1] .

وأخرج ابن المبارك وابن عساكر عن زيد بن أسلم قال : خرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ليلة يحرس ، فرأى مصباحا في ، بيت فدنا، فإذا عجوز تطرق شَعراً لها لتغزله- أي تنفشه بقدح - وهي تقول :

على محمد صلاة الأبرار
صلى عليك المصطفون الأخيار

قد كنت قواما بكيّ الأسحار
يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

---

(١) عبقرية عمر للعقاد : ٢٩٨ .

- تعني النبي ﷺ - فجلس عمر يبكي ، فما زال يبكي حتى قرع الباب عليها، فقالت: من هذا ؟ قال : عمر بن الخطاب ! قالت : ومالي ولعمر ؟ وما يأتي بعمر هذه الساعة ؟ قال : افتحي رحمك الله، فلا بأس عليك ؟

ففتحت له فدخل فقال : ردي علي الكلمات التي قلت آنفا ، فردته عليه . فلما بلغت آخره قال : أسألك أن تدخليني معكما!

قالت : وعمر فاغفر له يا غفار ! فرضي ورجع . كذا في منتخب الكنز (٤/ ٣٨١)[1].

---

(١) حياة الصحابة : ٢/ ٦١٦ .

آراء عمر في الشعر والشعراء

لقد كان لعمر -رضي الله عنه- من الآراء الثاقبة في النقد ما يدل على حسن تتبع، وشفافية إحساس، ورقة وجدان، وعمق تدبر، وفيها من التقدير للشعر ما لا يبلغه إلا الناقد البصير والخبير الذواقة .

رأي عمر في امرىء القيس

سأل العباس بن عبدالمطلب عمر عن الشعراء فقال : امرؤ القيس سابقهم، خسف لهم عين الشعر، فافتقر (شق) عن معان عور أصح بصر.

والمعنى أن امرأ القيس أوضح معاني الشعر، ولخصها، وكشف عنها الحجب، وجانب

التعويص والتعقيد[1] .

رأي عمر في زهير بن أبي سلمى

روى ابن سلام يرفعه عن عبدالله بن عباس أنه قال :

قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير ، قال : ولم كان ذلك ؟ قال : كان لا يعاضل بالكلام، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه[2] ، وفي رواية أخرى :

قال عمر بن الخطاب لابن عباس : هل تروي الشعر لشاعر الشعراء ؟ قلت ومن هو؟

(١) الفائق: ١/ ١٧١ .وأخبار عمر،للطنطاوين: ٣١٣ .
(٢) العمدة : ١/ ٥٢ .

قال : الذي يقول :

ولو أن حمداً يخلد الناس أخلدوا
ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت . وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاضل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحدا إلا بما فيه[1] .

وقيل : إن عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث
أداء أو نفار أو جلاء

وكان يقول : لا يخرج الحق عن إحدى

(١) الأغاني: ٩/ ١٣٩ . والجمهرة: ٣٢ . ومعاهد التنصيص: ١/ ١١٠ .

ثلاث : إما يمين ، أو محاكمة ، أو حجة .

ويقول : لو أدركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته بما تثبت به الحقوق[1] .

قال عمر -رضي الله عنه- لبعض ولد هرم بن سنان : أنشدني بعض مدح زهير أباك ، فأنشده فقال عمر : إن كان ليحسن فيكم القول ، قال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء . فقال عمر : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

وقال رضي الله عنه لابن زهير : ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال عمر : لكن الحلل التي كساها أبوك هرماً لم يبلها الدهر .

---

(١) العمدة: ١/ ٥٥. وشرح قصيدة بانت سعاد: ١٦ .

أي تكريم للشعر أعظم من هذا التكريم على لسان إنسان في منزلة عمر ومستواه ؟ وأي اعتراف وإقرار بخلوده أعظم من هذا الذي نراه من صحابي جليل ، وخليفة ورع ، وإنسان تربى في مدرسة النبوة وأفياء القرآن ؟

رأي عمر في النابغة الذبياني

عن الشعبي قال : قال عمر : يا معشر غطفان . من ذا الذي يقول :

الا سليمان إذ قال الإله له
قم في البرية فاحدوها عن الفند

وخبّر الجن أني قد أذنت لهم
يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فمن ذا الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة
لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث أي الرجال المهذب؟

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين .

قال : فمن القائل :

خطاطيف حجن في حبال متينة
تمد بها أيد إليك نوازع

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين .

قال : فمن القائل :

إلى ابن محرقٍ أعملت نفسي
وراحلتي وقد هدت العيون

فألفيت الأمانة لم يخنها
كذلك كان نوح لايخون

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي
على خوف تظن بي الظنون

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هو أشعر شعرائكم[1] .

ويلتقي رأي عمر في زهير برأي عمر في النابغة كما نرى ، وإن كان تفضيل النابغة على شعراء غطفان ، وتفضيل زهير على الشعراء كافة .

---

(١) جمهرة أشعار العرب: ٣٤. وطبقات الشعراء: ٢٧. ومعاهد التنصيص : ١/١١٢ .

عمر والخنساء

أقبلت الخنساء حاجة ، فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها ، فأتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : هذه خنساء فلو وعظتها ، فقد طال بكاؤها في الجاهلية والإسلام .

فقام عمر ، وأتاها ، وقال : يا خنساء ، فرفعت رأسها فقالت : ما الذي تريد ؟ فقال: ما الذي قرّح مآقي عينيك ؟ قالت : البكاء على سادات مضر .

قال : إنهم هلكوا في الجاهلية وهم أعضاء اللهب وحشو جهنم . قالت : ذلك والله أطول لعويلي عليهم .

قال : فأنشديني ما قلت ، قالت : أما إني لا أنشدك ما قلت قبل اليوم، ولكني أنشدك ما قلت الساعة ، فقالت :

سقى جدثا أعراق غمرة دونه
وبيشة ديمات الربيع ووابله

وكن أعير الدمع قبلك من بكى
فأنت على من مات قبلك شاغله

وأرعيهم سمعي إذا ذكروا الأسى
وفي الصدر مني زفرة لا تزايله

فقال عمر : دعوها ، فإنها لا تزال حزينة أبدا[1] .

وعند تمحيص الرواية نرى أن الخنساء قد قدمت المدينة وأن عمر هو الذي قدم إليها

---

(١) المحاسن والأضداد : ٤٤ . أو سرح العيون : ٢٠١ . وأخبار عمر للطنطاويين : ٣٢٤ .

وأتاها حيث كانت ، وفي ذلك تكريم لمن يحترم نفسه من الشعراء ، وتواضع من عمر ليعظ في سبيل الله ، وأن عمر حاورها في أمر حزنها ، فعلم أن حزنها أشد على قومها، وأساها أعمق على من فقدت؛ لأنهم كما قال أعضاء اللهب وحشو جهنم ، وأنها ما زالت تحزن وتنفث حزنها شعراً وقصيداً يخفف من اللوعة،ويعين على الصبر،وتجنب الجزع ، وأنه -رضي الله عنه- قد تركها تعبر عن آلامها بالشعر ، ما خلا ذلك الشعر من شرك وباطل وضلال ، فإن في ذلك احتراماً لحزن صادق، وتقديراً لدمع غير مأجور، وأسى غير متكلف.

عمر يستمع إلى الشعر ويعجب

أنشد عمر قصيدة عبدة بن الطيب الطويلة التي على اللام ، فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمرء ساع لأمر ليس يدركه
والعيش شح وإشفاق وتأميل

قال عمر متعجبا : والعيش شح، وإشفاق، وتأميل . . . ، ما أحسن ما قسَّم ![1]

وأنشده قصيدة أبي قيس بن الأسلت التي على العين وهو ساكت، فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكيس والقوة خير من الا
شفاق والنهة والهاع

---

(١) الإيجاز والإعجاز ، للثعالبي : ٤١ .

جعل عمر يردد البيت ويتعجب منه[1]

وعن محمد بن سلام قال : أنشد سحيم عمر بن الخطاب قوله :

عميرة ودع إن تجهزت غاديا
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر : لو قلت شعرك كله مثل هذا لأعطيتك[2] .

عمر يحكم في قضايا شعرية

قدم الزبرقان بن بدر على عمر يستعديه على الحطيئة ، فرفعه عمر إليه ، وقال للزبرقان : ما قال لك ؟ فقال الزبرقان : قال لي :

---

(١) البيان والتبيين : ١/ ٢٠٤ .
(٢) الأغاني : ٢/ ٣ . والبيان والتبيين : ١/ ٧٥ .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر : ما أسمع هجاء ، ولكنها معاتبة .

فقال الزبرقان : أولا تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس . . . ، والله يا أمير المؤمنين ما هجيت ببيت قط أشد علي منه ، سل ابن الفريعة (يعني حسان بن ثابت) .

فقال عمر : عليّ بحسان بن ثابت ، فجيء به ، فقال : أتراه هجاه ؟ قال : نعم وسلح[1] عليه ، فألقى عمر الحطيئة في حفرة اتخذها حبسا . فجعل الحطيئة يستعطف عمر بالشعر، ويرسله إليه ، فمن ذلك قوله :

---

(١) سلح عليه : بال عليه .

تحنن عليّ هداك المليك
فإن لكل مقام مقالا

فلا تسمعن بي مقال العدى
ولا تؤكلني هديت الرجالا

فإنك خير من الزبرقان
أشد نكالاً وخير نوالا

فلم يلتفت إليه عمر حتى قال :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه
ألقى إليك مقاليد النهى البشر

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها
لكن لأنفسهم كانت بك الإثر

وشفع له عبدالرحمن بن عوف ، فرق له

عمر، وأخرجه، وقال له :

إياك وهجاء الناس !

فقال : إذن يموت عيالي جوعا ، هذا مأكلة عيالي ، ونملة تدب على لساني ، وهو مكسبي، ومنه معاشي . فدعا عمر بكرسي، فجلس عليه، ودعا بالحطيئة فجلس بين يديه ، ودعا بأشفى (مشقف) وشفرة يوهمه أنه سيقطع لسانه . فقال له الزبرقان : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تقطعه ، فإن كنت لا بد فاعلا فلا تقطعه في بيت الزبرقان .

ويروى أن عمر رضي الله عنه اشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم، وأخذ عليه ألا يهجو أحداً بعدها ، فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع
شتماً يضر ولا مديحا ينفع

ومنعتني عرض البخيل فلم يخف
شتمي وأصبح آمناً لا يجزع

وقام بعهده مدة حياة عمر ، ثم رجع إلى الهجاء بعد وفاته[1] .

واستعدى تميم بن مقبل عمر بن الخطاب على النجاشي (الشاعر) فقال : يا أمير المؤمنين، هجاني فأعني عليه!

فقال : يا نجاشي ما قلت ؟

قال : يا أمير المؤمنين قلت ما لا أرى عليّ

---

(١) جمع الطنطاويان علي وناجي هذه الرواية في اخبار عمر من: الأغاني والكامل وطبقات الشعراء والبيان والتبيين وشرح رسالة ابن زيدون وألف باء وقد اشارا إلى ذلك في أخبار عمر : ٣١٧.

فيه إثما وأنشد :

إذا الله عادى أهل لؤم وذلة
فعادى بني العجلان رهط بن مقبل

فقال عمر: إن الله لايعادي مسلماً، فقال:

قبيلته لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليتني من هؤلاء . فقال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل

فقال عمر : كفى ضياعاً بمن تأكل الكلاب لحمه فقال :

ولا يردون الماء إلا عشية
إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أصفى للماء وأقل

للزحام، فقال:

وما سمي العجلان إلا لقولهم
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : خير القوم أنفعهم لأهله ، فقال تميم : فسله عن قوله :

أولئك أولاد الهجين ، وأسرة اللئيم ، ورهط العاجز المتذلل .

فقال عمر : أما هذا فلا أعذرك عليه . فحبسه وضربه[1] .

ومما مرَّبنا من قبل ، ومن سياق الرواية التي بين أيدينا ، يتبين لنا أن عمر -رضي الله عنه-

---

(١) جمع الطنطاويان هذه الرواية في أخبار عمر من الإصابة وخزانة الأدب للبغدادي وزهر الآداب وألف باء وقد أشارا إلى ذلك في أخبار عمر: ٣٠٤ .

كان من أعلم الناس بالشعر ، وأعمقهم فهماً لأسراره ، وأكثرهم إلماما بفنونه ، في دراية ووعي وذوق . ومع ذلك نراه يلجأ لحسان ابن ثابت ليعطيه رأيا فيما قيل وما سمع . ولسنا مع الجاحظ في تعليله لاستدعاء حسان واستشارته حيث يقول :

« ولكنه إذا ابتلي بالحكم بين النجاشي والعجلاني وبين الحطيئه والزبرقان ، كره أن يتعرض للشعراء واستشهد رجالا للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليهم سبالهم، فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم ، وكان الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعا للفريقين ، ويكون هو قد تخلص بعرضه

سليما »[1].

إن مثل هذا التعليل لا يمكن أن يقبل في جانب رجل كعمر الذي عرفنا صلابته في الحق، ودفاعه عنه ، وثباته عليه ، ولطالما قاوم جموعا ، وعارض حشودا ، ووقف في وجه كثيرين يقوّم اعوجاجهم، أو يصحح خطأهم ، وما كان عمر بالذي يبالي بقول شاعر أو يخشى هجاءه ما دام يقتنع أنه على حق، وأن الشاعر على باطل، ولكن التعليل السليم كما أرى أنه -رضي الله عنه- كان يلجأ لذوي الاختصاص وأصحاب الفن، ليكون هو في منأى عن التأثير أو التأثر طالما يجلس مجلس القضاء والحكم .

---

(١) البيان والتبيين : ١/٢٠٣ .

وفي ذلك يقول الأستاذان علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ويحسنان :

« والذي نظنه أن عمر لم يمتنع من التعرض لهم تخلصا بعرضه ، وتجنبا لشرهم ؛ فما كان عمر بالذي يخشى أو يفكر فيه ، ولكنه كان قاضيا ، والقاضي لا يحكم بعلمه، ولو علم المسألة ، إلا أن يستشهد أو يسأل الخبراء، وكان سؤال عمر حسانا من قبيل سؤال الخبراء الفنيين من الحكام ، فلما أصدروا حكمهم بنى عليه عمر حكمه »[1] .

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب للطنطاويين : ٥٠٥ .

الرسول الكريم أحق بالمدح والثناء

ومثلما يبحث المحب عن أكرم الصفات وأطيبها ليصف بها حبيبه ، ومثلما يرجو المعجب لمن يهواه أن يخصه بكل خير ، وكل حسن ، وكل جميل ، نرى عمر -رضي الله عنه- كلما سمع بيتا يقال ، أو قصيدة تنشد، ويرى أن ما فيها من المدح والثناء قمة القمم قال : ذاك هو رسول الله ﷺ ، سمع رضي الله عنه رجلا ينشد:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد

فقال عمر ذاك رسول الله ﷺ[1] .

وعن الأصمعي قال : أنشد عمر بن

---

(١) البيان والتبيين : ٢/٢٢ .

الخطاب قول زهير في هرم بن سنان يمدحه :

دع عنك ذاك وعد القول في هرم
خير الكهول وسيد الحضر

لو كنت من شيء سوى بشر
كنت المنور ليلة البدر

ولأنت أوصل من سمعت به
لشوابك الأرحام والصهر

ولنعم حشو الدرع انت إذا
دعيت نزال وعر في الذعر

وأراك تفري ما خلقت وبعض
القوم يخلق ثم لا يفري

اثني عليك وما علمت وما
أسلفت في النجدات من ذكر

والتستر دون الفاحشات ولا
يلقاك دون الخير من شر

فقال عمر : ذاك رسول الله ﷺ[1] .

وقال ابن عباس : قال لي عمر بن الخطاب أنشدني قول زهير ، فأنشدته قوله في هرم بن سنان بن حارثة حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حيث تنسبهم
طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

جن إذا فزعوا إنس إذا أمنوا
مزرّدون بها ليلا اذا احتشدوا

فيحسدون على ما كان من نعم
لا ينزع الله منهم ماله حسد

فقال له عمر : ما كان أحب إليّ لو كان هذا الشعر في أهل بيت رسول الله ﷺ.

---

(١) الأغاني : ٩/١٤٦ . ونهاية الأرب : ٣/١٧٤.

انظر إلى صناعة عمر بالشعر كيف لم ير أحدا يستحق هذا المدح إلا أهل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام[1] .

أرأيت كيف يتصيدّ عمر الخير ، ويضع قمم الثناء ، ثم يؤكد أن رسول الله أحق أن يمدح، وأولى أن يثنى عليه . ومع معرفتنا بأن ما قيل أولا وما قيل ثانيا من الشعر الذي أشرنا إليه، إنما قصد به الشاعر ممدوحه لا رسول الله ﷺ، لكن عمر لا يتوانى في اختيار أكرم الشعر، ليجعله في موكب النبوة الطهور، وهو تكريم للشعر ، لعمري لا يعدله تكريم .

---

(١) العقد الفريد : ٣/٣٩٣ .

القرآن أولى وأكرم

وعلى الرغم من إعجاب عمر بعف الشعر، حين يكون كريم المعنى سامي الهدف ، إلا أنه كان يغضب عندما يرى إقبال الناس على الشعر أكثر من القرآن ، ويعدّ ذلك منافيا للدين مجلبة لغضب الله .

كان عمر رضي الله عنه في سفر ، فرفع عقيرته بالغناء وأنشد :

وما حملت من ناقة فوق رحلها
أبرّ وأوفى ذمة من محمد

فاجتمع الناس . فقرأ (آي القرآن) فتفرقوا. وفعل ذلك وفعلوه غير مرة ، فقال: يا بني المقكاء[1]،إذا أخذت في مزامير الشيطان

---

(١) كلمة يوبّخهم بها .

اجتمعتم، وإذا أخذت في كتاب الله تفرقتم[1].

وعن أبي عبيدة قال : لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة ، فعزل سعد ابن أبي وقاص الخمس ثم قسم البقية ، فأصاب الفارس ستة آلاف ، وبقي مال دائر (كثير) ، فكتب إلى عمر بما فعل ، فكتب إليه أن رد على المسلمين الخمس ، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ، ففعل ذلك .

ثم كتب إليه كذلك ، فكتب إليه أن أعط ما بقي حملة القرآن ، فأتاه عمرو بن معد يكرب ، فقال: ما معك من حفظ القرآن ؟ قال إني أسلمت ، ثم شغلت بالغزو عن

---

(١) معاهد التنصيص : ١/٢٢٣ . والأغاني : ١٤, ٣٩ . وأخبار عمر ، للطنطاويين : ٣٢٢ .

حفظ القرآن . وقيل : أتاه بشر بن ربيعة فقال : ما معك من حفظ القرآن ؟ قال : معي بسم الله الرحمن الرحيم، فضحك القوم. فقال سعد: مالك في هذا المال من شيء ولا نصيب ، فقال عمرو منشدا :

إذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد
قالت قريش ألا تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له نفذ
ولا سوية إذ تعطى الدنانير

وقال بشر أبياتاً ، فكتب سعد إلى عمر بما قالا : فكتب إليه : أعطيهما على بلائهما ، فأعطاهما أربعة الآف درهم .

إن عمر المؤمن لا يبخس الناس أشياءهم، ولا يظلم أصحاب الحقوق حقوقهم، ولئن كان

يفضل أن يكون مع الجهاد زاد من القرآن، وآيات من محكم التنزيل، لكنه ما كان لينسى فضل المجاهدين ومنزلتهم، فأعطاهما لبلائهما وحسن جهادهما في سبيل الله .

وكتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الإسلام ، فأرسل إلى الأغلب الراجز العجلي فقال له :

أنشدني ، فقال :

أرجزا تريد أم قصيدا
لقد طلبت هينا موجودا

ثم أرسل إلى لبيد ، فقال : أنشدني ، فقال : إن شئت ما عفي عنه ! (يعني الجاهلية) قال : لا ، أنشدني ما قلت في

الإسلام ، فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر ، فكتب بذلك المغيرة إلى عمر ، فنقص من عطاء الأغلب خمسمئة وجعلها في عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمئة، فكتب الأغلب: يا أمير المؤمنين. . . أتنقص عطائي أن أطعتك؟ فرد عليه خمسمئة، وأقر عطاء لبيد على ألفين وخمسمئة[1] .

ونستطيع أن نوجز أو أن نستخلص أموراً من الرواية السابقة :

أولا : أن لبيداً فضّل بعد إسلامه حفظ القرآن أو تلاوته على قول الشعر .

ثانيا : أن عمر كما يحرص على معرفة، أو

---

(١) الأغاني : ١٤، ٩٤ .

تدوين ما كان يقال من شعر في الإسلام وأنه يعطي عليه .

ثالثا : أن عمر كما أوضحنا يعتبر حفظ القرآن أولى من حفظ الشعر .

رابعا : أنه استجاب لحجة الشاعر فزاده ، واستجاب لورع لبيد فأعطاه .

ومثلما كان عمر يحب أن يكون الثناء كل الثناء على النبي ﷺ وكذلك على آل بيته الأكرمين ، وأن يحث الناس على حفظ القرآن وتلاوته أكثر من قول الشعر وروايته ، كان من قبله أبو بكر رضوان الله عليه .

قال سعيد بن المسيب : قالت عائشة وأبوها يغمض عينيه رضي الله عنه :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه
ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فنظر إليها وقال : ذاك رسول الله ﷺ ، . ثم أغمض عينيه، فقالت :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر إليها غاضبا، وقال: قولي ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق. ذلك ما كنت منه تحيد﴾[1] .

وليس غريبا أن يفضل أبو بكر كلام الله على كلام البشر ، بل ليس غريبا أن يجعل آخر ما يستمع له ويصغي آيات من كتاب الله، لا أبيات من شعر شاعر .

وإذا رأينا فريقا من الصحابة أو العلماء أو

---

(١) العقد الفريد : ٢/٢٠٦ .

الأخيار يستبدلون بالشعر القرآن ، ويحلون كلام الله محل كلام الخلق فإن ذلك لهم، وهو إلى الصفاء أقرب وباليقين اوثق .

(عن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه ، فقيل له في ذلك فقال : أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر . وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال : أجعل مكان هذا ذِكراً، فإنّ ذكر الله خير من الشعراء)[1] .

ومثلما نطالب بالحرية للشاعر أن يحلق وينطلق فيما لا ضرر منه ولا أذى ، ولا هدم ولا تخريب ، فإن من حق هؤلاء علينا أن نبارك رأيهم،وأن نحترم مشاعرهم وعقيدتهم، إذ يحفظون القرآن بدل الشعر، أو يرتلون

---

(١) إحياء علوم الدين .

آياته بدل الترنم بالقوافي .

ومهما يكن من أمر فإنّ لعمر في الشعر رأياً يتناول التوجيه نحو الخير والهدى وصالح العمل ، أو التجويد في اللغة والأسلوب والشاعرية، وهو يبدي رأيه في الشعر، ويقارن بين الشعراء غير مستقبح ولا مستهجن ولا راد، إلا ما أشرنا إليه ، مما يثير الضغائن، ويبعث الشر، ويغري على سيء العمل . يصنع عمر ذلك صحابياً جليلاً ، وخليفة عادلاً، وناقداً مرهف الحس نافذ البصيرة .

قال عمر بن الخطاب : الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفأ به الثائرة، ويبلغ به القوم في ناديهم،ويعطى به السائل[1] .

---

(١) العقد الفريد : ٣٨٦/٢ .

الفهرس

عمر شديد في الحق لا يهاب ٨
لماذا ترك المسلمون الشعر زمنا ؟ ١٤
عمر ينهى حسانا وحسان يحجه ١٧
عمر يرفض الشعر المنحرف ١٩
عمر يرسم أهداف الحياة ٢٢
عمر يحث الناس على حفظ الشعر وروايته .. ٢٤
عمر يتمثل بالشعر ٢٨
عمر يقول الشعر ٣٢
عمر يتمنى أن يرثي أخاه شعراً ٣٥
أحكام يصدرها عمر بسبب شعر يقال ٣٨
الشعر يحرك وجدان عمر ٤٣
آراء عمر في الشعر والشعراء ٤٦
رأي عمر في امرىء القيس ٤٦
رأي عمر في زهير بن أبي سلمى ٤٧
رأي عمر في النابغة الذبياني ٥٠
عمر والخنساء ٥٣
عمر يستمع إلى الشعر ويعجب ٥٦
عمر يحكم في قضايا شعرية ٥٧
الرسول الكريم أحق بالمدح والثناء ٦٧
القرآن اولى وأكرم ٧١